



زوايا رجراجة وإسهاماتها

زوايا إقليم أسفي

ذ. محمد السعيدي الرجراجي*

مدخل:

ما يزال البحث في دور الزوايا بالمغرب لم يتبلور بالشكل الذي يقف فيه المتطلع على كل ما يود معرفته، وذلك في غياب معطيات كثيرة يعود بعضها إلى السوسيولوجي وبعضها إلى التاريخي وبعضها إلى السياسي وبعضها إلى الاهتمام بالتوثيق والمراجعة والبحث الذي تعرقله أسباب وصعاب لا يتأتى تذليلهما إلا للقليل وبعضها إلى المصالح والحساسيات.

وإذا كان هذا حال زوايا لا يتجاوز عمرها الثلاثة قرون إلى الأربعة فماذا يقال عن زوايا رجراجة التي واكبت الإسلام منذ أن أضاء هذه الأرض، بل إن أصحابها ومؤسسيها هم المسؤولون عنه بعد إسلامهم في زيارة مشرقية لرسول الإسلام عليه السلام كما تفيد أكثر الروايات؟ ماذا يستطيع الباحث المدقق أن يقدم عن زوايا منتشرة بانتشار رقعة الوطن خاصة بإقليمي الصويرة وأسفي، إضافة إلى هذا الكم الهائل من التراكم التاريخي الواضح وغير الواضح، المستمد من آثار ووقائع ومواقف جلية وجليلة أو من تخمينات وشهادات شفوية لا تخلو من الغلو والانبهار المصحوبين دوما بالإفراط والتهويل.

معوقات:

إن معوقات عديدة تحول دون تحقيق مبتغى متجرد موثق أهمها:

1) ــ كثرة الزوايا وتعدد معالمها وتفرق رجالها ونبغائها ودعاتها.

2) ــ توزع الاهتمامات الشخصية والنوازع الإنسانية المحلية والخارجية.

---

* أستاذ باحث من آسفي

3) ــ المصادر المعتمدة في هذا المجال لا تسعف الباحث بالكثير، ولا تلبي رغباته النقدية. وإن كانت أكثرية هذه المصادر تصب في اتجاه كونهم صحابة ووصلوا إلى مكة وأسلموا ورجعوا يحملون لواء الدعوة للدين الجديد.

4) ــ أن ما عند هذه الزاوية من وثائق ومستندات وعقود ليس عند الأخرى إضافة إلى الضن بها من جانب مالكيها وعدم التعامل بتلقائية معها ومع من يبحث عنها .

هذه المعوقات كان لها خطرها الأكيد والكبير على الأقل من نواحي ثلاثة :

أ ــ أنها ألقت ضبابية كثيفة ما تزال تطغى على جهادهم وتحركهم ومقاومتهم وصوفيتهم فاختلط الواقعي بالخيالي ، وتسربت كثير من العوائد التي غذاها الجهل والتربص والجمود.

ب ــ أخرت البحث في الفترة الأولى من تاريخ رجراجة بمناولات جيدة وعقليات جديدة لا تستهدف إلا الحقيقة ، الشيء الذي ترتب عنه غموض كبير كاد أن يشوه الفترة كلها لا على النطاق الرجراجي وحده وإنما على نطاق المغرب كله.

ج ــ أفسحت المجال أمام الكثير من الأخذ والرد والتخرصات والشكوك التي كان من الواجب استغلالها في بحث علمي جاد لا مقومات وآراء شخصية ربما كان بعضها مبنيا على تصفية حسابات ليس إلا.

ومع ذلك فالزاوية الرجراجية قدمت لهذا الوطن ــ خاصة وهي تقع على الساحل أو بالقرب منه ــ الكثير ، إن على مستوى الجهاد والمشاغرة والتصوف وإن على مستوى العلم والدين والفكر ، وإن على مستوى الحياة بعامة.

دور التأسيس:

وقبل الحديث عن التأسيس نقف لحظة مع هذا التعريف :"الزاوية هي أداة تنظيمية تفرزها كتلة قبلية ، غايتها حماية هذه الكتلة من التفكيك ، وذلك بواسطة الشروط اللازمة لبقاء هذه الكتلة على المستوى المادي أولا، ثم ربطها على مستوى الشرعية السياسية / الدينية ، بالإسلام الشرعي ثانيا"(1).

فأين تقف الزاوية الرجراجية من هذا التعريف ؟ وكيف يُطبق عليها ؟

ونرى أنه ينطبق عليها إلا فيما يخص الشق الثاني منه المتعلق بالربط بمستوى الشرعية السياسية / الدينية التي لم تتبلور ساعتها عند المؤسسين ، ولم يكونوا يفكرون فيها من منطلقاتهم الخاصة ، وإنما جاء ذلك بعد مضي عشرات السنين خاصة بعد أن افترق المغرب عن المشرق وأصبح له كيانه وذاتيته، وسياسته وتوجهاته ، بل حتى الظروف التي كان يعيشها المغرب كله، والجهة التي تواجدت فيها الزاوية منه، كانت ظروفا ما تزال تتعثر في دعوة إسلامية ناشئة من أناس لم يعتمدوا قوة ولم يجردوا جيشا، واستعمار قرطاجني متمكن وشخصية متبربرة مؤطرة بحب ما لديها والاستعداد للدفاع عنه بكل ما أوتي وإن المصاعب التي

تعرض لها الفاتحون الأولون لأكبر دليل. ويبقى أن تأسيس الزاوية الرجراجية كان وراءه غرض ديني محض ، وإبقاء شعلة الحماس الديني مشتعلة في النفوس ، فإن الرجال السبعة الذين أسلموا وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجعوا لهذه المنطقة كانوا متفرقين في نواحيها ولا يجتمعون إلا إذا دعا داع لذلك.

ومن جملة ما اتبعوه في منهجيتهم ليحافظوا على تماسكهم والبث لدعوتهم هذه المواسم (الدور) التي ما تزال تقام ربيع كل سنة فلاحية ، والتي اتسعت أفقيا وعموديا حتى وصلت ستة أسابيع متواصلة ، وكانت مقتصرة في الأول على السبعة حيث يزورون ويزارون.

ولعل في اختيار الربيع لدورهم والطريقة التي بها يبتدئونه ما يستشف منه الكثير "اعلم أنه إن كان دخول مارس الفلاحي بالسبت أو الأحد ، فإن الدور يكون في الخميس الأول منه ، وإن كان بالاثنين أو الثلاثاء ، فلا لأن رجراجة يتحرون أيام الحسوم فلا يبدعون فيها مواسمهم السنوية ... ويوم الجمعة الذي هو يوم الدور(3) . يتفنن الناس في الاحتفال والفرحة والزينة وبضريح الشيخ أبي علي تلتقي الطائفة بالمقدمين ، وعلى بابه ، يستعيذون بالله من الشيطان الرجيم ويصلون على أشرف الورى عليه صلاة الله وسلامه..."(4).

هذه المواسم التي أدت دورها جيدا والتي لم تسلم من بعض البطش وحتى لإيقاف في بعض مراحلها كانت غايتها الأولى والأخيرة كما قلنا المحافظة على الجذوة الحماسية في النفوس والاستعداد للبذل إذا ما هدد الدين مهدد ، ثم اتسعت هذه الغاية لتشمل الاقتصاد والتجارة لتدخل بعد ذلك السياسة والتنازع بين العمال والقواد على الزوايا التي كانت تجد في السلطات العليا منجدا ومنصفا.

الزاوية الرجراجية وأطروحة الاندماج والتمايز:

إن الزوايا الرجراجية كانت بعيدة عن أطروحة الاندماج التي تقول :"إن أطروحة الاندماج لم تر إمكانية للوصول إلى السلطة إلا انطلاقا من "الزاوية" فوراء كل زاوية يكمن مدع للعرش"(5)، ورغم أن هذا القول فيه غلو كبير ـ في تقديرنا على الأقل ـ فإن الزاوية الرجراجية كانت بمنأى عن منطوق القول ومفهومه ومفعوله ، فهي لم تناور ولم تحارب من أجل عرش، ولم يسجل التاريخ أن واحدا معروفا من أبنائها تقدم للصفوف للمناداة على نفسه ولتكوين دولة ، رغم أن الرجراجيين كانت لهم مكانة عند المرينيين حيث إنهم كانوا من أول من بايعهم(6) وكانوا اليد اليمنى في قيام السعديين ، وإن فسد الجو بينهم أيام الشيخ بن زيدان بن المنصور الذهبي ، فثاروا عليه وحاربهم فهزموه الشيء الذي استوجب التفكير في رجال سبعة بمراكش علا شأنهم وتبلور أمرهم أيام مولاي إسماعيل العلوي.

وكذلك الأمر فيما يرجع لأطروحة التمايز الذاهبة إلى كون الزوايا تنشأ انطلاقا من التناقض الحاصل بين "المجتمع"و"السلطة"(7) ، وذلك أنها في الوقت الذي

تأسست فيه لم تكن هناك مؤسسة سلطة قائمة تنشر ألويتها على البلاد ، ولم يوجد بعد ذلك المجتمع المتفاعل مع سلطته سلبا أو إيجابا فيصفق لها أو يحمل السلاح.

قد يقال أن الزوايا الرجراجية لم تأخذ اسمها إلا في العهد المريني الذي كان له الفضل في شد أزر مؤسسة "الزاوية" بعامة ، وإنما كانت تسمى رباطات كرباط أكوز ورباط شاكر.وفي غياب أي معطى ينفي أو يثبت هذه الحقيقة بالنسبة لزوايا رجراجة ، فإننا نقتنع به لكن مع التأكيد على أن زوايانا هذه سواء قبل العهد المريني أو بعده كان مفهومها معروفا ومهضوما، إذ لم تكن لها من غاية غير ما أسست من أجله، ولاشك أن السلطات والأسر الحاكمة التي توالت على المغرب أدركت هذه الخاصية ، فعاملتها باحترام وعاشت في نوع من الاطمئنان، ولم تتعرض لما تعرضت له زوايا أخرى من محاسبة ومحاربة وإنهاء، وحسب ما نعرف فإن أول ظهير يوجد بالزوايا الرجراجية هو في حوزة السعيدية ، من قبل أبي الحسن المريني.

أدوار مختلفة :

وتناغما مع ما من أجله أنشئت حققت الكثير مما تريد بآليات مختلفة وفي ظروف متنوعة ، وقد يكون مفيدا الإشارة إلى بعض ذلك :

أ ــ **الناحية الصوفية** : رغم أن الصوفية الرجراجية المتأخرة متأثرة بالشاذلية وما في معناها فإن صوفية الأولين كان قوامها الأساس الديني والتفكير المحلي المبني على التصور العملي الصرف للتصوف ، الغير المغرق في الاتكالية والتهجد وقتل الوقت وإيلام النفس فقرن الجهد بالجهاد والاعتكاف بالعمل والعلم بالسلوك والذكر بالانضباط ، وقد تنبه لهذا القاضي بن الزيات التادلي فكتب في تشوفه "وسميت هذا الكتاب بالتشوف إلى رجال التصوف وإن كان مشتملا على أضراب من أفاضل العلماء والفقهاء والعباد والزهاد والورعين وغير ذلك من ضروب أهل الفضل ، فإن اسم الصوفي يصدق على جميعهم بوضع هذا الاسم عند المحققين فإن كثيرا من الناس لم يحصلوا حقيقة اشتقاقه ، والذي يعول عليه، أن الصوفي هو المنقطع بهمته إلى الله تعالى،المتصرف في طاعته"(8).

والقرن الخامس والسادس بطبيعتهما كانا عصري تصوف إلى حد ما ،لأن الأحوال السائدة كانت داعية إليه ، وأن هذه القباب الكثيرة من طنجة إلى الصحراء لمتصوفين رجراجيين أو مجاهدين أو مرابطين أو معلمين لتخفي صفحة ناصعة لذلك الجهد المستمر القائم على أعمدة الدين الحنيف الذي استمر بمجيء الشيخ الجزولي تلميذ أبي زيد الرجراجي، والاستقرار ببلادهم فكون مريدين وأتباعا ومدرسة اتسع فضلها وانتشر.

إن الصوفية الرجراجية أكسبت ــ مع أشياء أخرى ــ الزاوية نفوذا معنويا وقوة مادية تعاملت بها مع الأحداث في يسر وأناة وتفهم لكل الأوضاع.

ب ــ **الناحية الجهادية** : إن رجراجة منذ أول يوم حملوا السـلاح ضـد الشـرك والكفر والظلم والإظلام ، منذ جاءوا حاملين راية الإسلام . وهم يتقدمون الصفـوف ولقد حاربوا برغواطة كما حاربوا الإباضيين والشيعيين أولا ، وحـاربوا البرتغـال في المراسي والسفوح المغربية من الحدود إلى الحدود، وحاربوا كل من اعتقدوا فيه أنه تنكب الطريق السوي ، بل إن المكانة التي تمتعوا بها إنما جاءتهم مما قاموا بـه ولو كان المجال متسعا لاتسع القول وأفيض فيه.

ج ــ **الناحية العلمية والفكرية** :لقد وازن الرجراجيون بين كل القيم والمثل الرائعـة وبين ما تتطلبه الحياة ، ولهذا حرصت كل زاوية على تأسـيس مدرسـتها العلميـة والقرءانية، فإن أعجزها الظرف على الإنفاق بالنسبة للأولى، فإن الثانية كانت فـي ازدهار كبير ، ومن ثمة نشطت حركة حفظ القرءان الكريم والتفقه فـي قراءاتـه ورسمه ، وكانت هناك مدارس قديمة كبيرة جدا كالقرمودية والسعيدية والواسـمينية بها العلماء والمؤلفون والقضاة والعدول والخطباء، وأخـرى حديثـة كالسـكياطية والأكراتية والبنحميدية لا تقل عن الأولى إن لم تكن فاقتها، بل إن الأخـيرة درس بها العديد من المشاهير كالشيخ أبي شعيب الدكالي ، والحاج علي الدرقـاوي والـد الفقيه الحاج محمد المختار السوسي ومحمد الصغير السـباعي ومحمـد القشـاش الصويري المعروف بالكبير.

د ــ **الناحية السياسية** :سبقت الإشارة إلى كون الرجراجيين لم ينغمروا في الشـأن السياسي ، ولكن هذا لا يمنع من مشاركتهم فيه بصفة أو بأخرى، بل من علمائـهم من شدد النكير على الحاكم ولم يبال بسلطته كالشيخ عبد الله المليحـي الشوشـاوي الرجراجي مع علي ابن يوسف بن تاشفين في قضية حرق (إحيـاء علـوم الديـن) للغزالي وكالفقيه عمر بن محمد الرجراجي الفاسي مع أبي سعيد المريني ، والعديـد من الزوايا تعرضت للضر والعسف من المتولين بسبب مواقف المقدمين المناوئـة ولم ترتح نسبيا إلا بعد أن أصبحت تحت مقدم واحد معين بظهير هو الشيخ محمـد بن حميدة مؤسس زاوية بن حميدة، من قبل المولى إسماعيل حيث تواصل ذلك فـي أبنائه إلى الآن ، ولا نريد التعرض للاقتصادية والاجتماعية والإنسانية.

هذا فيما يرجع للزاوية الرجراجية بعامة ، ومنها بإقليم الصويرة ما يصـل إلى الثلاثين ما بين صغيرة وكبيرة. أما في إقليم أسفي فبه العديد نشير إلى البعـض في سرعة.

الزاويـة الرجراجيـة بإقليـم أسفـي :

:"وأما ركراكة فكانت تشمل في ذلك العصر ــ عصر التادلي ــ منطقة واسـعة بين دكالة وحاحا ومعظمها جنوبي وادي تانسيفت، يحدها البحر غربا ، وتدخل فيـها منطقة وادي شيشاوة، وتشمل جزءا على الأقل من منطقة متوكـة الحاليـة التـي

مركزها بوابوض، ويستفاد من التشوف أن قاعدة ركراكة في عصر التادلي كانت هي أكوز، وكانت مرسى على البحر عند مصب تانسيفت، وقد نعتها المؤلف بقرية أكوز، ولكنه أشار إلى أنها كانت مقر العامل، وبها يجبى الخراج وكان بها سجن ومسجد جامع"(9).

فحسب النص فإقليم أسفي منطقة رجراجية ، وبما أنه كذلك فبه زوايا متعددة نأتي بثلاث منها كنماذج ، دون أن نغفل التعرض للأخريات :

1) زاوية سيدي عيسى بوخابية :

تنتسب هذه الزاوية كما يدل عليه اسمها إلى الصحابي الشيخ عيسى بوخابية بن كويهل بن حارث بن زياد بن أرتن ، أخ الصحابي الشيخ سعيد السابق وأحد الصحابة السبعة وهو :"رئيسهم في الحروب والحافظ لسجلاتهم ، وسمي بوخابية لأنه كان يصبغ ثياب المجاهدين ، وهو جد رتنانة ومن معهم ومدفون عند شاطئ تانسيفت"(10).

فالزاوية اكتسبت شخصيتها المحترمة وتقديرها من رئيسها ومؤسسها الذي أبلى في الحروب البرغواطية وفي غيرها البلاء الحسن ، وكان له دوره الريادي في الدعوة للجهاد ونصرة الدين إضافة إلى سبقيته في الإسلام.

ونرى أن دور أحفاده وسمعتهم طغت على سمعته إلا ما كان من بقاء قبته مزارة يفد إليها الناس للزيارة والتبرك، وهذا طبيعي ، لتفرق الأحفاد هنا وهناك وسياحتهم في الأرض وتكوين زوايا أخرى بعيدة عن الأولى بمسافات قد تقل أو تكثر ولكنها خطفت الوهج نوعا من الجدة الكبرى.

وهذا الشيخ هو اول من تبنى فيه (الخيمة)(11) الرجراجية بعدما تكون المواسم قد انطلقت بما يقارب الأسبوع، وانتقلت بين صلحاء لم يكونوا ضمن السبعة الوافديمن على الرسول الكريم ، وإنما هم من الأحفاد، فكأنما الذين رتبوا سير هذه (الخيمة) وتنقلها فضلوا أن لا تبنى أول الدور إلا في صحابي ، وكان هو المختار حسب النظام المتبع ، ولاشك أن وراء ذلك أمرا لعله هذه الخطوة الجهادية والعمرية.

وثاني أمر كان وراء إخماد ذكر هذه الزاوية نوعا ما فيما نرى هو الاسم فمنطقتها المجاورة بدأت تعرف برتنانة وهي منطقة كبيرة ضمت عديدا من البشر فقد نجد رسائل رسمية وظهائر سلطانية تتحدث عن الرتنانيين ولا تقول العيساويين أو البوخابيين كالشأن في الواسمينيين أو السعديين أو القرموديين.

وكان بالزاوية متصوفة وطلبة ورجال أخيار ومدرسة مهمة خبا وميضها ولم يعل لها ذكر إلا بمجئ رجل هو الشيخ الأستاذ عبد الله بن أحمد الحفيظ بن ناغوم التالمستي الرجراجي فأحياها بعلم القراءات وأدت دورا كبيرا سواء في حياته أو بعد موته سنة 1335هـ.

وكان لتنافس قواد الناحية يد حميدة في تألق هذه المدرسة ،"وكان القائد السيد عبد المالك المتوكي ممن لهم شغف بتلك المدرسة ويعينها بأموال طائلة، وكذلك القائد الأنجد أحمد بن الطاهر الحاجي ، والقائدان ولدا خبان الحاج الحسن والعربي رحم الله الجميع"(12).

وما تزال المدرسة ــ وقد جددت وجدد مسجدها ــ تؤدي دورها وبها الكثير من الطلبة يدرسون على العديد من أبناء الزاوية الذين أغلبهم أساتذة في القراءات والعلم أعرف منهم السادة: محمدا ، عبد الله ، أحمد ، أبناء الشيخ عبد الحميد بن عبد الله الحفيظ، وابن عمهم الفقيه السيد حسن بن الشيخ عبد الرحمان الفقيه ، وقد كان السيد حسن من فقهاء زاوية بن حميدة يدرس بها لطلبتها ولم يغادرها إلا مؤخرا.

إلا أنه لابد من ملاحظة أن الصوفية التي كانت منهاجا وديدنا لكثير من أحفاد سيدي عيسى إنما استمدوها منه بالدرجة الأولى ومن ذلك الألق المحيط به .

ولا تبعد هذه الزاوية كثيرا عن صحابي آخر هو الشيخ سيدي عبد الله أوناس ولا عن رباط وقبة فقيه عالم متصوف شهد له الكثيرون بالخصوصية وقالوا عن رباطه إن كل قنطرة من قناطر مسجده حملها ولي من رجراجة ، ذلك هو الشيخ إسحاق بن أبي إبراهيم الشهير الدفين قرب سيدي عيسى المذكور.

2) ــ **زاوية سيدي حسين (حساين)** : هذا الصالح يسمى حساين مول الباب ولعله لوجود زاويته عند مصب نهر تانسيفت في البحر، ولقربه من الصويرية القديمة التي هي على مرأى البصر منه.

وهو من أحفاد الشيخ عيسى بوخابية إذ ينتسل من الفرع الأول من ثلاثة فروع وبينه وبين جده الأعلى تسعة أسماء ، إن هو حسين (احساين) بن عبد الرحمان ــ أبي زيد ــ بن إلياس بن إبراهيم بن رشيد بن مصراف بن ياسين بن عبد الحكيم ،بن زيد بن علي بن عيسى بوخابية(13). وكان احد المرابطين المريدين برباط أكوز الشهير الذي لا يفصله عن زاويته إلا المسافة المائية المتمثلة في عرض النهر وقد أصبح هذا الرباط الآن خرابا، رغم أنه كان كما سبقت الإشارة إلى كلام التادلي قاعدة ركراكة ومرساها المطل على البحر والمقر للعامل ...

فإذا عرفنا أن القاضي التادلي مات ببلاد ركراكة سنة 627 أو 628هـ وأن الشيخ احساين الرتناني كان من أهل القرن الثامن أدركنا أية صلة بينه وبين الرباط الذي كان ساعتها يؤدي دوره كاملا من كل النواحي الدينية والصوفية والسلطوية والاقتصادية حتى إنه كان رئة تتنفس بها مدينة أغمات وما حولها ومدن أخرى كنفيس التي هي مدينة رجراجية. ورغم أن تعتيما ما يلف حياة هذا الولي ، فقد عرف عنه أنه كان من المتصوفة الكبار، وأنه كان على الطريق الواضح ، ولا عجب فسلسته إلى جده هي الشبيهة بالتي تنعت في الحديث بالسلسلة الذهبية فوالده

هو الشيخ الجليل عبد الرحمان أبو زيد دفين شوشاوة المعروف (بسيدي بوزيد) وقد كان من الكبراء، وترجم له غير واحد ، وقد جاء في (المرآة والممتع) أنه :"أقام بحرم الله عشرين سنة، وأخذ طريق التصوف عن أبي الفضل الهندي عن الشيخ عنوس عن أبي العباس القرافي عن أبي عبد الله المغربي عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم ، ومن طريقه تروى الطريقة الشاذلية ، فالشيخ الكبير سيدي محمد بن سليمان الجزولي يرويها عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله أمغار الصغير عن أبي عثمان الهرتاني عن أبي زيد"(14)، فهذا النص الغني يبين لنا من هو سيدي أحساين ومن هو أبوه .

ومن عجيب أننا لا نجد زوايا كثيرة تناسلت من سيدي عيسى غير هاتين عكس الصحابة الآخرين الذين تناسلت منهم العشرات ، وقد يكون لقربهم من البحر والسياحة فيه والاشتغال بالصيد والعمل اليومي دور ما ، وما يزال حتى اليوم الصيد البحري من أهم ما يشتغل به الرتنانيون، وما يزال (الشابل) المصاد من واديهم من ألذ أنواع السمك . على أن هذا لا ينفي أن هناك صلحاء وقضاة وفقهاء وسياسيين ورعاية من الدولة ، وكان الفقيه الأديب الرقيق الشاعر البليغ الحجة علي بن محمد بن الحسين الرتناني المعروف بأرتنو واحدا من كتاب الديوان عند أحمد المنصور الذهبي ومن قواد جيشه ، ومن شعره في باب من أبواب قصر البديع بمراكش.

الحسن لفظ وهذا القصر معناه	*	يا ما أملح مرءاه وأسناه !
فهو البديع الذي راقت بدائعه	*	وطابق إسم له فيها مسماه
صريح أقيمت على التقوى دعائمه	*	ودل منه على التاريخ معناه
ولاح أيضا وعين الحفظ تكلأه	*	تاريخه من تمام (قل هو الله)(15)

ولهذا السيد ظهير من المنصور مؤرخ ب 1014 من ضمنه :(لا تزال بحول الله وقوته أحباس أرتنو ومحاريته بمرسى أكوز بوادي تانسيفت ومن يرد على تلك الزاوية ويقصدها من الزائرين لأهل الله بسواحل رجراجة..."(16)، والظهير يبين حتى الحدود الواجب احترامها:"من دورة علي ابن عبد الله إلى بير واعزيز إلى دار خالد وعرق الرمل المعروف بلبيار إلى البحر ، ومن جهة الشرق جلتة الأسوار إلى المشرع وإلى الولي "(17).

ويظهر أن الأمر كان به نزاع بين المرابطين أنفسهم وبين من يحاورهم إذ ختم الظهير هكذا :" من يدعي شيئا في الأرض المذكورة يحضر به مجلس القضاء"(18).
وجددت الظهائر الرتنانية على عهد مختلف السلاطين العلويين خاصة مولاي إسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله ومولاي الحسن الأول .

(3 ـ **زاوية شاكر بن يعلا (سيدي شيكر)** :يعرف الناس مقام شاكر وما حوله بالرباط لكثرة من كان يتعبد به من الرجال والنساء ، ولكثرة من كان بمسجده من

العلماء الأجلاء والفقهاء الذين لا يصل منهم منبره إلا الآحاد. وهو بن يعلـــى بـــن مصلين الرجراجي الصحابي ، وهو تابعي كان مع عقبة بن نافع الفهري ، وهنـــاك رواية تقول بأن الصحابي الشيخ واسمين جمع بهذا المحل المصامدة ودعـاهم إلـى الإسلام فبقي من ذلك التاريخ معلمة للخير تفوح منها روائح الفدائية والبذل.

وكان له موسم رمضاني كل سنة يقصده العباد والمتصوفون من كل الأنحـــاء وكان الشيخ أبومحمد صالح دفين آسفي من قاصديه المداومين ، وله ترجمة تليـــق بأمثاله كتبها المتقدمون كاليوسي الذي نقل عن التشوف أن يعلى بن مصليـن بنـاه ــ أي الرباط ــ وكان يقاتل به برغواطة مرات ، وأن طبله هو البـاقي هنـاك(19) وكذلك المتأخرون وهم كثرة. وقد ألف في الرباط وصاحبه الشيخ عبد الحي الكتـلني كتابا بعنوان (رباط شاكر) ولخصه في مقالة نشرت بمجلة المغرب بعنوان(أشـرف بقعة وأقدس بناحية مراكش) ومنها :"وقد قصدت زيارة هـــذا الربـاط عـام 1341 وأقمت به مدة في ذلك البسيط الباهض على ضفة ذلك النــــهر المنـــهمر وأقـرأت دروسا في هذا المسجد العظيم المهول في بنائه الواسع في أكنافه الممتدة صومعتـــه تناطح السحاب ، وأمليت فيه دروسا حديثية ..."(20).

وكانت الصلة وثيقة بين مدينة أغمات ونفيس بما تضمنانه من علماء وصوفيـــة ومتبتلين وبين رباط شاكر الذي هو من محيط مدينة نفيس والـــذي كـان إشـعاعه الصوفي قد امتد إلى كل الأرجاء. ولأحفاد شاكر بن يعلا زوايا متعددة أغلبها فـــي إقليم الصويرة تتقدمها زاوية أبي خميس محمد بن أبي روج (ســيدي محمـد بـن مرزوق) الرجل العظيم الذي قالوا عنه إنه كان من الأطواد وأنه لقي الخضر عليـه السلام . وكان له في مقام الصوفية والإقبال على العبادة شأن وأي شأن،" وأقام أبـو محمد خميس نيفا وعشرين سنة لم ينم ليلا ولا نهارا إلا وقت وقوف الشمس"(21).

وليتصور المتصور هذه الحلقة من المتصوفة التي تبتدئ من شاكر إلى أبي عبد الله أمغار، إلى أبي محمد صالح ، إلى إسحاق بن إبراهيم الرجراجي ، إلى علي بـن أبي علي الرجراجي إلى عيسى مول العهد الرجراجي بأربعاء النعيرات بالشـياظمة إلى أبي خميس هذا إلى أغمات إلى نفيس فرباط شاكر ، وما تضمه داخلها من كملى الرجال وأكابر القوم، وليتصور هذه العلاقة بين كل هؤلاء وبين زاويتي أبي خميس وسيدي احساين ولد الصوفي الكبير سيدي أبي زيد شـيخ الجزولـي ومـا وهبـت ومنحت وما طعمها به الجزولي بعدئذ من مريدين وعباد ، وليتصور ثالثة كـل مـا أضافه الشيخ عبد الله الغزواني لكل هذا ، فقد وفد من فاس ليستقر بمراكش، وبقـي عند قبر أبي زيد مدة ليريه للناس بعد ماطرته حوادث وأحداث..ليتأكد أيـة صلـة كانت تربطه بين كل هؤلاء أصولا وفروعا وأي حزام متين وأمني كانوا يقيمونـــه وأية صوفية كانوا يتبعونها، وفي موقف أبي خميس من الذين عملـوا لـه تطوعـا بدون أجر ما يعطي الدليل على صفاء نفوس هؤلاء القوم، ولقد عبر عن موقف أبي خميس هذا الشيخ أبو العباس بن عبد القادر التستاوتي في نزهته.

خميس أبى أن يأكل الزرع إذ رأى * من الناس قوما يحصدون بلا أجــر

وكما نسل شاكر من صوفيون وعباد فقد كان كذلك مقرعون وقضـــاة وأخيـار منهم الفقيه القاضي السيد بوعزة وأخوه السيد عبد القادر بن قاســم قــاضي أسـفي والمتوفى سنة 1349 وهم من البومحمديين بدكالة على مقربــة مـن سـيدي أبـي النور(بنور)،" وقد أقام هذا الأخير دعوى شرعية على جيران سيدي شـاكر حتـى منعهم من الفتوحات لأن تحت يده ظهائر ورسوما استحقوا بها حيازة ظهير جدهـم والأنساب تحاز بما تحاز به الأملاك شرعا ، وفي العمليات الفاسية :

ولبنيهـم صدقــات الصالحيــن * ثــم لمحتــاج بــذاك يستعيــن " (22)

زوايا أخرى بالإقليم : وهناك زوايا أخرى تجيء بعد التي ذكرنا وأهمـــها زاويــة الشيخ محمد بن باعزي بجمعة سحيم، وقد نزل عبدة أيام الاحتلال البرتغالي لشاطئ أسفي ، ولاشك أنه جاهد ثم رابط بمكان زاويته إلى أن توفي بها.

ولهذه الزاوية علاقة مع الباعزيين والبطريطشيين أحفاد سيدي ســعيد الســابق بالشياظمة لأنهم أبناء عمومة لهم ، كما لهم علاقات كبيرة مع زاوية بـــن حميـدة السعيدية خاصة مع الفقيه الشيخ عبـــد الله الســعيدي الرجراجــي المقــدم مؤلــف كتاب(السيف المسلول)، وبين الجانبين مصاهرة أثمرت حلوا نشأت حينما كان الفقيـه المذكور منفيا بعبدة من سنة 1945 إلى الاستقلال من أجل قضية المغرب الكبرى.

"ولقد كان الخليفة الحافظي الشافعي يقبض المغارم من أبنــاء هــذه الزاويــة فمنعه نقيب رجراجة الشيخ البشير جدنا طيب الله ثراه ، كما منع جميع من ينتســب لهذه الطائفة من المغارم"(23).

وهناك زاوية سيدي أبي الشتاء البطريطشي السعيدي الرجراجي ، وهو ولـــي صالح، وبدرأيام ، لائح ، نزل عبدة في القرن الثاني عشر الــهجري وأحفــاده الآن يذهبون أيام المواسم الرجراجية لجدهم العلي . وقد كان القائد عيســـى بــن عمــر العبدي استبد بهم بالمليجيين آل آيير، وأراد أن يسلكهم في سلك العامة فلم يتأت لــه ذلك لشكوى رفعها مقدم رجراجة السالف الذكر للســلطان مــولاي الحســن الأول فأنصفهم منه، ولكن الانتقام جاء في ناحية أخرى.

أما زاوية الشيخ سعيد بوغنبــور بالبركــات وأولاد ســي بوبكــر فينتســبون للصحابي الشيخ سيدي أبي بكر أشماس المدفون بالزاوية القرمودية بالشياظمة. لقيـه الشيخ اليوسي سنة 1095هــ وذكره في آخر المحاضرات وتبرك به.

أما زاويا الكرعان والغرائر وأبي البركات فتنسب للصحابي ســيدي واســمين وكان بها رجال وعلماء أخيار تعرض لهم صاحب الســيف المســلول ، وصــاحب الجواهر الصفية الفقيه محمد بن أحمد العبدي الكانوني.

وبالشهالي فرقة من الواسمينيين تعرف بأولاد بن سليمان أشهرهم الفقيه محمــد بن سليمان قاضي أسفي وعبدة المتوفى سنة 1341 ، وولده الفقيــه نــائب القــاضي

بوحفص عمر. وبداخل مدينة أسفي يوجد العديد من الأضرحة لصلحاء رجراجيين من بينهم : سيدي واصل وبه عرفت الزاوية المشهورة ، وسيدي عبد الكريم وتسمت به إحدى حومات المدينة بجماعة بياضة ، وسيدي محمد الرجراجي يقام عليه موسم صيفي سنوي ، وسيدي عبد الرحمان بن أبي إبراهيم ، وهو من أهل القرن السادس وضريحه بباب الشعبة ، وقد قال فيه القاضي العلامة محمد بن عبد العزيز الأندلسي لأسفي قصيدة تربو على الثلاثين بيتا منها :

يا طالب الفضل فعرج على * أبي زيد التقي الهمام
واستمطر الأمناح من بابه * فعابد الرحمان سر الغمام
كم أسفرت طلعة إحسانه * بمبتغ الإحسان دون لثام
وفرج اللـه بـه أزمة * من بعدما كانت كجنح الظلام

كما كانت للصوفي الكبير الشيخ علي بن أبي علي زاوية كبيرة تضارع رباط أبي محمد صالح خربها البرتغال حينما ابتليت بهم المدينة ...

والملاحظ أن خطا رفيعا من الأخلاق الجيدة والتدين المتين والتحلي بالفضيلة كثيرا ما ينتظم هذه الزوايا والساكنين بها ولو لم يكن أصلهم رجراجيا رغم طمور أدائها العملي، ورغم محاربة الاستعمار لها ، ورغم كونها إلى الظل بسبب ما هجم به العصر الحديث من محاربة لكل معلم مضيء.

وعسى أن تتاح الفرصة لتفصيل أكثر فإن الحيز المخصص لا يسمح بأكثر من هذا .

الهوامش:

1) ـــ المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي (مؤسسة الزوايا بالمغرب الإسلامي/مساهمة في التكوين)س1: ع 1دجنبر 1986

2) ـــ هم : 1 ـــ واسمين بن يعزى بن مهدي بن إسماعيل بن مروان بن علقمة مدفون بجبل الحديد. 2 ـــ أبو بكر المدعو أشماس بن عكرمة بن غيبين بن أبي خابية بن أمج وضريحه بأقرمود. 3 ـــ ولده صالح قيل إنه مدفون مع والده . 4 ـــ عبد الله الملقب بأدناس ابن عامر بن دائم بن مجاهد بن أرتن ، مدفون ببلاد التوابيت قرب بوخابية.5 ـــ عيسى بوخابية بن كويهل بن حارث بن زياد بن أرتن مدفون عند شاطئ تانسيفت.6 ـــ يعلي بن واطل بنمصلين ، المدفون ـــ في قول ـــ برباط شاكر. 7 ـــ سعيد السابق المكنى يقى بن كويهل بن حارث وهو أخ لأبي خابية ، مدفون بطالعة الشياظمة بقبيلة العساعسة / المواريد، على مشارف حدود قبيلتي الشياظمة ومتوكة عن : السعيدي عبد الله بتصوف ـــ السيف المسلول ـــ سنة 1987 – 1407 ص 3 / 4☹) شركة الطبع والنشر ـــ البيضاء

3) ـــ عمليا بداية الدور هو يوم الخميس ولكن الرسمي هو يوم الجمعة ، أما سابقه فيسمى (الصفية) ولعله كان الصفاء أو الصفوة فحرف بالاستعمال عن طريق العامة، وكأنه تمييئ للذي يليه ، وهكذا في كل أيام الدور.

4) ـــ السعيدي ع. السيف المسلول مرجع سابق ، ج : 1 ص: .31

5) ـــ المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي . مرجع سابق ، ص: .17

6) ــ لسان الدين بن الخطيب ــ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. ص: 130 ط: 1 ، التقــــدم الإســـلامية / تونس. بدون تاريخ.

7) ــ المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي / مرجع سابق ص: .17

8) ــ مقدمة التشوف لأبي يعقوب بن يوسف التادلي. تحقيق التوفيق أ. ص: .34 ، 1984 — 1404 ــ كليــة الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط (نصوص ووثائق).

9) ــ نفس المرجع ص: .24

10) ــ السيف المسلول ج:1 ، ص: .4

11) ــ الخيمة ــ فسطاط ليفي أحمر ، كان يقدمه بعض القواد ، أما الآن فيحدد كل سنة أو سنتين بمبادرات شخصية، تبنى ويجلس فيها الرجراجيون للقراءة والذكر وتلقي الفتوحات وترجع لمكانها بزاوية بن حميدة حال ما ينتـــهي الـــدور وهي عندهم من المقدسات.

12) ــ السيف المسلول ج : 2 ، ص: .276

13) ــ حسب رسم مؤرخ ب 997هـــ أخذت منه نسخة بتاريخ قعدة الحرام متم 1100.

14)ــ السيف المسلول ج 2 ص 255 ترجمة أبي زيد.

15) ــ متفكر.أ. مراكش في الشعر العربي عن روضة الأسر العاطرة الأنفاس ص: .20

16) 18) ــ السيف المسلول .ج 2 ص: .283

19) ــ نفس المرجع عن مجلة المغرب .س: 5 ج 2 1336هـــ .

20) ــ مجلة المغرب . س5 ، ج 2 ، 1336هـــ .

22) / 23) ــ السيف المسلول ، ج 2 ، ص :314 و.238